خلفيات ممارسة العنف عند الشباب

أ.بوعبد الله قاسمي
جامعة وهران2 – الجزائر

الملخص:

إشكالية العنف والشباب لها طابع متكرر في الفضاء العام أو الخاص، لا يمكن أن يخلو يوما أو أسبوعا دون أن نقرأ أنسمع أو نشاهد أشكال متعددة للعنف في الوسط الحضري ومن خلال سائل الإعلام.مما يدفعنا أن نطرح عدة أسئلة حول هذه الظاهرة والممارسات لدى الشباب لمعرفة ما وراء ها من الدوافع و المكانزمات التي تؤدي الى نشوء لديهم الرغبة في ممارسة العنف في الوسط الحضري.أحياء مدينة وهران عينة متماثلة لتلك الممارسات التي تبوء لنا بخطورة الوضع اذا لم يقم كل واحد منا حسب إختصاصه بدوره ، وهذا لفهم الخلفيات والأسباب والدوافع الحقيقية التي تجعل من هؤلاء الشباب طعم للآفات الإجتماعية .

Summary:

The problem of violence and youth are frequently in the public or private space of ,could not without days or weeks without to read or hear or see the multiple forms of violence in urban areas and through the media fluid. This makes us to raise several questions about this phenomenon and practices among young people to know what is behind her motives and mechanism which give rise to have the desire to exercise violence in urban areas.The revival of the city of Oran sample are similar to those practices that assume to us the seriousness of the situation if not every one of us according to his competence, in turn, to understand the real motives of the backgrounds and the reasons that make these young people a taste of social ills.

مقدمة:

لا يمكن التطرق إلى ظاهرة العنف في الوسط الحضري(1) دون اللجوء الى فهم تركيبة معادلة الشباب والعنف، والتي يعتبرها المجتمع معادلة قائمة فيحد ذاتها ، وهذا لما رسمت صورا عن الشباب تم من خلالها تغليط الرأي العام، بحيث ربط الشباب العنف، وهذا بحكم ما تتطلع علينا يوميا الصحف*ووسائل الإعلام من أحداث العنف. العنف قبل ان يكون خطرا إعلاميا فهو قبل كل شيء فعل اجتماعي كما يوضحه محمد بن صالح. إذ وجه لهذه الفئة (الشباب) من المجتمع إ تهامات عديدة بكونهم طرفا في ممارسة العنف الإجتماعي. حيث إن المجتمع الجزائري يعايش هذه الظاهرة من جميع النواحي (تأثرا وتأثيرا)، وهذا ما أفرزته تلك أشكال جديدة من العنف(2)، هذه الأخيرة أعادت بدورها جدولة محتوى أنماط التفكير والتعايش داخل الإطار الاجتماعي نتيجة عدة عوامل كونت التركيبة الاجتماعية وشكلت حركيتها بتحديد الأدوار لكل فاعل إجتماعي.

* انظر الى الصحف الوطنية المختلفة الناطقة باللغتين العربية و الفرنسية مابين سنة 2000الى غاية سنة2016 التي تطرقت الى احداث العنف الممارس في الوسط الحضري و من هم الفاعلين فيها وكذلك الى الاحصائيات التي تقدمها الجهات الامنية لراي العام .

فئة الشباب تعد الأكثر تأثرا في هذه معادلة * التي لم تساهم إراديا في تكوينها أو التفكير في بلورة سيرورتها بين مختلف أقطاب الحراك الإجتماعي ، بل يعتبرها أهل الاختصاص (3)عنصرا جوهريا فيها وأداة فعالة في انتشارها لكونها جزءا من هذه المعادلة. لهذا تعد فئة الشباب الحلقة الأضعف في المجتمع بكونها لا تمتلك القرار في تحديد مصيرها لنقص خبرتها في الحياة وعدم إكتمال نضجها ، وبالتالي قد تتلخص علاقتها بالمجتمع ضمن الديناميكية الإجتماعية المحورية التي تقزّم دورها فيها أو تلغيه نهائيا من خلال عملية التهميش.

هنالك عناصر عديدة سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ساعدت في خلق ظروف وأسباب وعوامل أدت بهذه الفئة من المجتمع لممارسة العنف في مختلف أشكاله(4)، وذلك لا لأجل الغاية منه ا أو حبا فيها، بل لأنها لم تجد منفذا يسمح لها بتعبير من خلاله عن أزماتها ومشاكلها ومعاناتها اليومية. و إعتبلوها أن المجتمع لم يؤدي كل واجباته إتجاهها مثل الحق في العمل والسكن ومتطلبات أخرى تدخل في إطار التنشئة الاجتماعية والمواطنة.

زادت القضية الأمنية التي عرفتها البلا د في العشرية السوداء حدة وتعقيدا وإنتشارا لظاهرة العنف وتشعب مصادره ا ودوافعها، مما أدى إلى فقدان المؤسسات التنشئة الإجتماعية لمصداقيتها وقيمتها . هذه الظروف ساهمت في تخلخل قواعد وأسس وميكانزمات العلاقات والروابط الإجتماعية داخل البناء الإجتماعي، مما سهلت من تكوين جماعات أشرار وعصابات إجرامية وجنوح لشباب ، ومشاكل جديدة على مستوى المؤسسات التنشئة الإجتماعية التي كانت من نتائجها تكوُن جوا من الخوف والرعب الذي زاد من تأزم الوضع ونشوء الشعور باللا أمن اليومي بين جميع أفراد المجتمع داخل البناء الإجتماعي، الأمر الذي أستمر حتى مع تجاوز الجزائر للأزمة الأمنية.

والسؤال الذي نطرح خلال بحثنا هذا هو: ما هي الخلفيات والأسباب التي تؤدي بالشباب إلى إنتهاج العنف كأداة لإبراز وجودهم الاجتماعي والذاتي لبناء رابطهم الإجتماعي؟

1-إشكالية تحديد مفهوم الشباب

لازلت فئة الشباب تشغل إهتمام العديد من الإختصاصات بحكم أهميتها في السلم الاجتماعي وبعدها الإستراتيجي في عملية التخطيط التنموي للمجتمع من خلالها دورها في دينامكية الإجتماعية. ومن بين الإشكاليات التي لازالت قائمة في البحوث الأكاديمية هي مسألة تحديد مفهوم هذه الفئة ضمن السياق الإجتماعي، وفي هذا السياق يطرح P .BOURDIEU تساؤلات حول مسألة الشباب والصراع بين الأجيال(5) بحكم أن الشباب بالنسبة إليه" مجرد كلمة" . وبكوْنِ لازالت حدود الشباب غير واضحة وغامضة بكون أن التعريفات الإدارية والإحصائية المتعلقة بحدود السن غير عادلة. إن الشباب لم يعد

* المعادلة تقوم على منوال الشباب + آفات إجتماعية في الوسط الحضري تؤدي الى العنف ، هذا العنف الذي يمارس من قبل هذه الفئة من المجتمع داخل التركيبة الإجتماعية.

محددا بصورة أكثر وضوحا كما كانت في السابق، على سبيل المثال البلوغ كان يبدأ بالدخول إلى حياة المراهقة كحال الدخول الى مرحلة الزواج أو الخدمة العسكرية للخروج منه . في هذا السياق تشير الباحثتان Andréa REA و Carla NAGELS من خلال السؤال التالي "ماذا نمنح للشباب لكي يتركوا مرحلة الشباب للدخول الى مرحلة الرجولة" بحكم أنهم يبقون مدة طويلة في مرحلة الشباب لأنهم لا يجدون منفذا يبنون به مشروع حياتهم(6).

وبالنسبة إلى .GALLAND O الذي يعتبر سن الشباب نسبي بالمرور بعدة مستويات، المرور بالمدرسة إلى العمل ثم المرور بالأسرة التي نشأ فيها إلى الأسرة التي سيكوِنها (7). بالتالي، الشباب هو ثروة غير نافدة ولا تكلف المجتمع، وهي أصل كل مشروع وتغيير فيه وتطور دائم، وفي هذا الباب تضيف الباحثتان Andréa REA و Carla NAGELS"بأن الشباب هو بناء إجتماعي يختلف حسب الزمن والفضاء"(8). لكن مع التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات التي تتفاعل مع المعطيات السوسيوثقافية والإقتصادية والجيوسياسية تأثرت بالسلب والإيجاب حسب تلك المعطيات التي كانت تملكها.

1. تعد فئة الشبانية من أهم الفئات الإجتماعية من حيث الكم والنوع،فأغلبية الأفراد الذين لا يتجاوزون سن الثلاثين تمثل الفئة العمرية فيها ما بين 15−29سنة نسبة 26.0%(9) حسبCNES.

2. تمثلات ورؤى الشباب للعنف

تعد خلفيات ممارسة العنف من قبل فئة من الشباب في الوسط الحضري إشكالية أساسية في تحديد هوية العنف. حيث صارت الأحياء التي يميزها الطابع الشعبي وذات نسبة الديمغرافية مرتفعة عن غيرها من الأحياء الحضرية الأخرى تشكل محور دراسة بالمقاربة السوسيولوجية لممارسة العنف من طرف فئة إجتماعية معينة(الشباب). هذه الفئة وجدت نفسها تعاني من عدة مشاكل وأزمات في يومياتها مما عرضها إلى عملية التهميش وعدم قدرتها من أن تحقق ذاتها من خلال ميكانيزمات الإقصاء الإجتماع، وأمام هذا الوضع صارت تقاوم تلك العوائق التي منعتها. عوائق فشلهم الإجتماعي، مثل فشلهم في مواصلة مسارهم الدراسي من جهة ، وعوائق المجتمع الذي ينكر عليهم تحقيق وجودهم المادي والروحي معا من خلال الحصول على منصب عمل والحق في حرية التعبير والترفيه والتواصل دون أية مراقبة لقمع الحريات . صاروا يبحثون عن الحوار التي يجسدون من خلالها مصالحهم أي بناء شرعيتهم داخل الإطار الإجتماعي.إذ يئسوا من البحث عن العمل يضمن لهم حقهم في الحياة ويحميهم من تعرضهم من الوقوع في آفات الإجتماعية مثل ممارسة العنف الإجتماعي وتناول المخدرات.

3. تمثل المدينة المحيط الإجتماعي بكل ما تشمله من هياكل ومؤسسات، و بما يمثله فيها من تحولات فكرية وأخلاقية وثقافية وعقائدية عبر مراحل إنتقالها وتطورها العنصر الأساسي والهام في عملية التنشئة الإجتماعية للأفراد والجماعات سواء كان ذلك بالإيجاب أو السلب . قد يؤدي بهم الصراع ضمن

الصيرورة الإجتماعية إلى الدخول في دوامة من المتضادات لا يحسنون التعامل معها ولا يفقهون محتواها ولا يعوا عواقبها بحكم سنهم ونقص خبرتهم وتجاربهم في الحياة ، للبحث عن الهوية يؤسسوا من خلالها ذاتهم.

4. لقد نهجوا الوسيلة الأسهل التي يحسنون التعامل معها والتي لا تتطلب سوى أن يحققوا بها وفيها ومنها ومن خلالها غايتهم وحقهم المهضوم بممارستهم للعنف في تصور انهم. لقد تؤثر هذه الممارسات في شخصيتهم ويقلل من إستعداداتهم لتقبل وفهم أنساق القيم والمعايير الراهنة بكل ما تحتويه من سلبيات وإيجابيات، و في هذا الصدد يقول Gérard PREVOST: "العنف يشكل الهوية المطابقة لهذه الأحداث"(10)

يتجه الشباب الخارج أحيائهم للبحث عن بديل يعوضهم ذلك الفشل الإجتماعي، بعدما أن عجزت كل من الأسرة والمدرسة والمجتمع لتوفير لهم ما أنشأوا عليه ضمن تلك المؤسسات للتنشئة الإجتماعية رافضين ذلك الفشل الإجتماعي الذي يعتبر إنعكاسا واضحا لفشلهم النفسي. يقول Lahouari ADDI في هذا الصدد :"إن المعرفة تقوم في جميع الحالات بتسهيل عملية الرابط الإجتماعي الذي هو تحت تأثير عنف كبير ومنه العنف المادي. والجزائر تعلم جيدا شيء من هذا، حيث أنه في العشرية السوداء فقدت 200000 شخص إلى جانب هذا، العنف الرمزي الذي يوجد من خلال أزمة السكن والفقر والرشوة و من خلال معظم الكلمات التي جعلت الشعوب العربية تقوم بثوراتها في 2011"(11).

يعتبر الكثير من المختصين في دراسة العنف الحضري بأنّه لا يمكن فهم العنف عند الشباب في فضاء أجوف خال من كل العوامل المكونة للظروف والأسباب التي تؤدي إلى حدوثه، سواء كانت هذه العوامل المباشرة وغير المباشرة مثل (الفقر، البطالة، التشرد، الحرمان، "الحقرة"، النزاع العائلي، التسرب المدرسي...)، بل يجب الأخذ بعين الإعتبار المحيط الذي تحدث فيه تلك الممارسات وتحديد جميع آليات التي تحركها. فمفهوم العنف يختلف من شاب إلى آخر ومن نظرية إلى أخرى ، أين يعتبر العنف من بين الأشكال أكثر تطرفا في عملية الإتصال والتواصل بين الأفراد في ذاتهم وبين الأفراد ومجتمعهم . وحسب Slimane MAHDER" العنف لا يمكن أن نفصله عن الحياة الإجتماعية ولهذا الإنسان نظم حياته ضمن الجماعة ليحمي نفسه من العنف. والعنف مفتعل ومحتمل في آن واحد. لأنّه متغير و متطور'(12).

إن معظم المبحوثين للحيين (حي النصر وحي الأمير) يعرفون العنف من خلال تجربتهم وثقافتهم التي أنتجت هي الأخرى عنفا يتوافق والعنف الذي مورس أو يمارس عليهم يوميا سواء كان مادي أو رمزي . منهم من يعرفه بأنه " فقر و فساد ومصدره التهميش الإجتماعي " وآخر يعرف بأنه" آفة خطيرة" ولكن من يعرفه بأنه "نقص في الإنسانية وحياة الحيوانات، إنه فيروس ناتج عن تناول المخدرات ومرض نفسي" ، ومنهم من يعرفه على أنه" كل فعل لا إرادي ينبعث من ذات الإنسان لأسباب داخلية مكبوتة"،

وآخر يعرفه "أنّه الإنتقام لما لا يجد الشخص الشيء الذي يبحث عليه ' ،'وآخر يعرفه"بعدم وجود تسامح بين الأفراد وال تعصب، وتناول المخدرات هي السبب"وآخر يعرفه "عدم الإحترام المتبادل و سوء التربية"وآخر يعرفه "هو الفقر والظلم والبطالة والجهل بالأشياء" وآخر يعرفه " أنّه حالة حيوانية يصل اليها الفرد هده تصريحات بعض من المبحوثين الذين تمت معهم المقالبة اين عبروا عن استيائهم و سوء و ضعيتهم ازاء العنف الممارس عليهم سواء كان مادي من قبل افراد او جهات او رمزي ممارس من قبل السلطة..

إن تعريف ما هو عنف يطرح إشكالية ميتودولوجية، لأنّ هذا يختلف من حيث منهج الملاحظة عبر مراحل الزمن والممارسة، وكذلك حسب ثقافات المجتمع التي تؤثر فيه. ولأنّ المعرفة بالعنف كمفهوم وكواقع متاح لدراسة لا يبوح بأشكال وأنماط أين يكون العنف في آن واحد مدركا ومستهلكا. حيث أن معظم الشباب عرفوا العنف الحضري حسب ما ورثوه من ثقافة المجتمع ، حيث العنف الرمزي أنتج عنف فعلي(مادي) الذي يتفاعل مع صيرورة تواجدهم الإجتماعي ضمن تلك التحولات الإجتماعية والتغيرات في أشكال وأنماط التعامل مع الواقع اليومي المعيش.

وإستنتاجا لممارساتهم لهذا العنف، وكرد فعل للبعد الزمكاني لتلك الممارسات أجمع المبحوثين على أنه لا يمكن فهم العنف المعاش لديهم عبر النظريات الأكاديمية بل من خلال تتبعه في المجتمع المدروس. وبالتالي يظل هذا التعريف مرتبط بما تنتجه تلك المعادلة الث لاثية المتكونة من ثلاثة عوامل أساسية (التركيبة البشرية والبنية الحضرية والفاعل المؤثر) أي الفرد ومحيطه والدوافع التي تنتج العنف.

وعند طرحنا السؤال حول ما هو الشيء الذي تعتبره عنفا؟ كانت معظم الإجابات مركزة على عاملين اثنين هما "الحقرة"* و"الإجرام" لكونهما يشكلان القوقعة التي ينشأ فيها العنف و يتطور . فعامل الحقرة(الظلم) يلعب دورا مهما في تحديد تلك التفاعلات السلبية ل دى فئة الشباب إتجاه الأوضاع التي يعيشها داخل المجتمع لما يمنع من الحصول على أبسط الحقوق التي أوجدها الدستور مثل الحق في العمل ، وبالتالي يؤدي ذلك إلى نشوء عنف أكثر تطورا كالإجرام . والعنف في حد ذاته هو حدث يجسد الواقع السلبي في حياة الأفراد الذين هم دائما يبحثون على العيش الكريم بشتى الوسائل التي تتاح لديهم لإبراز تلك الرغبات سواء كانت ضمنية أو شكلية . أمام الحواجز يجد الفرد وخاصة الشاب نفسه مضطر للبحث عن السبل التي يستطيع من خلالها أن يحقق بها وجودها داخل التركيبة الإجتماعية التي لم يستطيع أن يندمج فيها، والعنف الذي يمارسه يعتبر كرد فعل للعنف الممارس ضده من قبل المجتمع او

* الحقرة مصطلح انبثق من تلك المعاملة الغير العادلة بين اوساط المجتمع ، اللا عدل بين افراد المجتمع و خاصة الشباب الذين اصبحوا يعانون من معملات غير قانونية و غير حضارية .يرى منا الفرد حقه يهضم منه دون ان يستطيع المطالبة به لأن من اخده منه انسان يملك الما و النفود و السلطة. بهدا وجد الشباب انفسهم

الأفراد. يؤكد Philippe BRAND على أن العنف متواجد ما دامت معاناة للأفراد داخل المجتمع موجودة(13).

لم يقتصر تحديدهم لمفهوم العنف عند التعريف السابق بل هناك من المبحوثين الذين ركزوا على أن تصورهم للعنف مرتبط بالعنف ال رمزي، وكذلك متعلق بالعنف ضد النساء والأطفال قبل كل شيء. فالعنف السياسي هو علاقة الدولة بالشعب وكل ما ينتج عن تلك التفاعلات سواء كانت بنيوية أو وظيفية فمن خلالها يحدث ذلك التصادم الناشئ عن التضاد في الخطاب بين الواقع والممارسة وهنا ينشأ العنف الرمزي.(14)

3- أسباب و دوافع ممارسة العنف عند الشباب

تعدد المصادر والأسباب التي تؤدي إلى نشوء ممارسة العنف عند الشباب في الوسط الحضري، وتظل مرتبطة بتلك الآثار النفسية والمادية التي يتركها في الضحية. لكن الضحية الأولى تبقى متمثلة في ذلك الشاب الذي يمارس العنف سواء على نفسه أو على غيره، أين صار العنف أداة التواصل بينه وبين المجتمع ا لدي يضع حواجز بين طموحاته . لم يجد من يتولى إعادة تنشئته تنشئة إجتماعية سليمة، حيث يقول Nietzsche" الكائن الحي يريد أن يبسط قوته. الحياة في ذاتها عنيفة بقوتها، ولكن غريزة الحماية ما هي إلاّ نتيجة غير مباشرة و أكثر ترددا"(15).

كثرة البطالة والتسرب المدرسي، تفكك الأسرة والحقرة والهجرة السرية وغيرها من النتائج السلبية التي أدت بالشباب لأن يصبحون عرضة لجميع الهزات والأزمات الاجتماعية ، و بالتالي فقدانهم الأمل وعدم إشراكهم في القرارات ومشارع المجتمع المستقبلية و في هذا المنوال يقول(16) Judith LAZAR:" أن البطالة وإنحلال الأسرة وفشل المدرسة ووسائل الإعلام والعولمة، لعب كل واحد منها دورا أساسيا لكي توجه له تهمة تصاعد العنف عند الشباب".

إضافة إلى فشل التنشئة الإجتماعية هناك أسباب إجتماعية وإقتصادية مثل الفقر التي قدرت في المجتمع الجزائري بالنسبة 28%(17) ، و البطالة التي تعدت نسبة 30% عند فئة الشباب التي تتراوح معدل أعمارهما ما بين 29/16سنة(18).كدافع من دوافع العنف وهيأت ظروفه تلك التفاعلات الإجتماعية المتناقضة في سوء توزيع الخيرات وفرص العيش الكريم داخل المجتمع.

ولما وجهنا سؤالنا عن الأسباب والدوافع التي تؤدي بالشباب إلى ممارسة العنف، كانت إجاباتهم متباينة حول المحور المادي والمحور النفسي الذي يلعب دورا أساسيا في تركيبة ميكانزمات التي تؤدي الى ممارسة العنف عند الشباب. يؤثر نشوء هؤلاء الشباب في أجواء عائلية وإجتماعية مشحونة بالعنف على مستقبلهم وتعامل مع الغير، هذا ما قد يؤدي به عادة إلى إستعمال وسيلة العنف لسعي لتحقيق رغباتهم داخل المجتمع ، أين يبرز ذلك في خطاباتهم. وحسب تصريحاتهم أن "المشاكل العائلية تؤثر بالإضافة إلى الفقر والفراغ واليأس والتهميش والغيرة...".

لكن ليست هذه الدوافع وحدها التي تؤدي بهم إلى ممارسة العنف، بل هناك عوامل أخرى تزيد في حدة هذا العنف كتناولهم للمخدرات والأقراص المهلوسة. إنهم يطلقون عليها السيدة الشجاعة madame courage التي بفضلها تتغير تصرفاتهم نحو العنف والإندفاع. إنهم عند تناولوهم لها يفقدون السيطرة على قدراتهم العقلية ويصيرون أسرى لنزواتهم وبالتالي يتحولون إلى وحوش لا يرحمون من يقع بين أيدهم. يقول في هذا الصدد Howard.S. Becker " إن المخدرات تعتبر إنحرافا عن القيم والمعايير في المجتمع" (19).

ظاهرة تناول المخدرات ورواج للمتاجرة بها في المجتمع جعلت من الشباب عرضة لكل الأخطار والآفات الإجتماعية وأول ضحاياها، إنّها غزت جميع الفضاءات بما فيها خصوصا الأسرة والمدرسة أين ذهب ويذهب يوميا ضحية لها العديد من الشباب.

أمّا عن رأيهم حول هذه الممارسات، كان إيجابتهم تعبر عن سخطهم على السلطة وكل المسؤولين الذين خدعوهم ولم يوفوا بوعودهم خلال الحملات الانتخابية ، ويرجعون عنفهم إلى الجانب الإقتصادي أكثر منه إجتماعي . يقول أحد المبحوثين "العنف هو الحل لهذه الفئة الضعيفة التي همشت من المجتمع، وبالتالي صاروا يؤمنون إلا بممارسة العنف كإستراتيجية لفرض وجودهم وطابع ثقافتهم على المجتمع". هؤلاء الشباب هم الذين أخرجهم المجتمع من صيرورة تطوره وجعل منهم مجرد تابعين له لا فاعلين فيه. الإختلاف هو أنّ سياسة الدولة جعلت منهم آفة تهدد كيان وأمن المجتمع، وبالتالي فقدان لمشاريع حقيقية تنقذهم من توعك الضياع.

معظم المبحوثين مارسوا العنف لأنّه مورس عليهم كذلك سواء بطريقة مباشرة بالإعتداء أو عند طريق اللفظ، أو بطريقة غير مباشرة من خلال العنف الرمزي و التعسف الإداري . إنّها عملية الإنتقام حسب وجهة نظرهم ووسيلة للحفاظ على كيانهم ، وحسب تصريحاتهم لا يرون جدوى أمامهم سوى ممارسة للعنف للحفاظ على كيانهم الإجتماعي (أي مصالحهم) في غابة لا يحسن فيها إلاّ إتقان لغة العنف. وكوْنِ محيطهم لا يتعامل إلا بالعنف فلا جدوى لهم إلا إنتاج خطابات مضمونها عنفا ونتيجتها عنفا. صارت فضاءاتهم مليئة بقصص العنف كلهم رووا لي ما حدث معهم من عنف سواء إستهلاكا أم إنتاجا، فالعنف متواجد في يومياتهم، في الأسرة، في المدرسة، في السوق...في كل مكان وكأنّ العنف صيغة المخاطبة الجديدة واتصال داخل المجتمع.

ويقول أحد المبحوثين : " ان جماعة جاءتني لمطالبتي من أن أقتسم معهم أرباحي في السوق كون حسب زعمهم ان فضاء السوق تابع لهم، وإلا سيقومون بسرقة سلعتي و منعي نهائيا من البيع في السوق وممارسة العنف ضدي، لكنني لم أترك نفسي عرضتا لقانونهم بل قمت بإستنجاد برفقائي لحمايتي ". و يضيف آخر راويا شهادته : "إن الحراقة أثناء رحلتهم تمارس عليهم عدة أنواع من العنف في عرض البحر لكي تسلب منهم أموالهم ويرمى بهم في البحر مهما كانت حالاتهم دون شفقة ولا رحمة". لم تقف

أحاديثهم عند هذا بل تعددت، منهم من كان ضحية فأصبح هو الجاني لكي لا يظل ضحية، لأنّ منطقهم قائم على شيئين "كن أو لا تكن" كن ضحية بإستسلامك لعنف الآخرين وبالتالي أنت الخاسر والعَبْدُ المطيع لهم وسيكون مصيرك حتما المستشفى أو المقبرة، أو أن تصير أنت من يقوم بالعنف ويصبح الآخرون هم الضحية. فممارسة العنف بكل أشكاله وحسب الظروف حسب ظنهم يظل السلاح الواقي من كل مجهول، فبالعنف يتحقق الأمن الذاتي لهم أولاً حسب تصريحاتهم . يقول Mohamad SAIB MUSETTE :إن العلاقة بين الشباب الجزائري والعنف الحضري تتمركز هكذا من خلال العلاقة الديالكتيكية بين العناصر الفيزيائية والعناصر الرمزية في الفضاء الحضري وتغيرات شروط الحياة لفئة الشباب.(20)

4-الغاية من ممارسة العنف

إن الممارسات للعنف في الوسط الحضري قد شدت إليها إنتباه العديد من الأطراف في المجتمع بما فيها وسائل الإعلام والأمن والرأي العام وخاصة أصحاب القرار، الذين أصبحوا عاجزين لأن يحققوا الأمن داخل المجتمع . هذا لكون أن الأمور قد فلتت من أيديهم والأوضاع زادت تعقيدا، وصار كل شيء يقاس بالعنف. يعد إقبال هؤلاء الشباب في المجتمع على ممارسة العنف على شتى أشكاله يدلي إلينا أن المجتمع في خطر بفقدانه كل المعايير والقيم الأخلاقية و القدرة على إسترجاع هذه الطاقات إلى وضعها الأصلي الذي يسمح لها من أن تمارس تفاعلها الحقيقي داخل المجتمع. يقول Gérard PREVOST"العنف يشكل الهوية كمثيلتها هذه الأحداث "(21).

بعد أن إستجوبنا الشباب القاطنين هذه الأحياء عن الغاية من ممارستهم لأعمال العنف في الوسط الحضري، كانت معظم إجاباتهم ترتكز على البحث عن مصادر العيش (المال)، دون أن ننسى الفراغ وتناول المخدرات. الغاية عندهم تبرر الوسيلة.إنّها عملية الإدمان على العنف. لكن منهم من يبحث عن الشهرة بقولهم "لما أمارس العنف أصبح مشهور في المجتمع " وكأنّ الإقبال على العنف والإجرام تشريفا له في المجتمع ، وهذا قد يعود إلى مرض نفسي الذي يؤدي بهم إلى ممارسة العنف كغاية لإبراز شخصيتهم العدوانية إتجاه أفراد المجتمع من جهة ، وإتجاه المجتمع الذي سلبه الحق في العيش الكريم خصوصا. كونهم قد إكتسبوا لقبا إجراميا بتورطه م في العديد من القضايا الإجرامية ودخول معظمهم إلى السجن بصفته مسكنهم من الدرجة الثانية، يجعل من المجتمع يخشاه م لأنّهم يشكلون خطرا على أمن المواطنين، وبالتالي يفرضون ذاتهم على النظام الإجتماعي ويصير ون قدوة للشباب الضال، أين يحسب لهم ألف حساب وخاصة من قبل الجهات الرسمية والأمنية، لأنّهم مصدر شبهة وخطر.

أما البعض الآخر فإنّهم يمارسون العنف من أجل جمع المال لكي يتمكنوا من الحرقة (الهجرة السرية) * نحو أوربا للبحث عن ظروف العيش الملائمة حسب وجهة نظرهم، أين يجدون فيها حسب ظنهم العدالة الإجتماعية وإحترام حقوق الإنسان، إنّه حلم بات يراودهم منذ صباهم، أوربا بالنسبة لهؤلاء الشباب هي الحضارة والكنز الذي لا يفنى.(22)

يقول أحد المبحوثين " نحن نعيش في سجن كبير تقمع فيه حرتنا وتكبث طموحاتنا " ويضيف قائلا " أنا نحرق ولو شيخا ، إنّني أبحث عن الحرية وكرامة العيش أين ينعدم فيها رجل الأمن الذي يأتي ليسبب لك المشاكل لكي يدخلك السجن " أنهم يمارسوا العنف رغما عنهم حسب تصريحاتهم.

هؤلاء الشباب قد إختلفت غايتهم في ممارسة العنف من شخص إلى آخر، لكن واقع ممارسة العنف يظل مرتبطا بالتوكيبة الإجتماعية للحي والظّروف التي فرضت عليه م رغما عنهم .إنّ الشاب لا يولد عنيفا بل قد تتواجدت معه العناصر التي تُوّلد فيه ذلك الشعور والإحساس بالحقرة والظلم والإستلاب من طرف الغير. إنّ هذا يبدأ داخل كنف الأسرة ثم يتوسع ويمتد إلى مؤسسات أخرى من المجتمع، إنّه فيروس العنف الإجتماعي حيث المؤهلات الأخرى تشبع فيه تلك الرغبة في ممارسة العنف. الرأسمال الثقافي الإجتماعي قد عجز لأنّ يمنح بديلا عن فشله لكون هؤلاء الشباب قد وجدوا عكس ما أكتسبوه من خلال عمليات التنشئة الإجتماعية.

قد صار العنف الوسيلة الوحيدة للتعامل مع المجتمع بإجماع جميع مبحوثي الحيين لأنّ المجتمع تخلى عنهم، وكأنّ المجتمع نفاهم داخل أحيائهم بفرض عليهم حسب تصريحاتهم سياسة الخشب والنفاق و المراوغة السياسية. البطالة هي العمود الفقري لبذرة العنف وحتى العشرية السوداء من سنين الجمر التي عاشها المجتمع الجزائري في ظلام الإرهاب زادت من الطين بلة، إنهم عايشوا تلك الأوضاع الدامية، تركت في نفوس هؤلاء الشباب نقاط سوداء داخل تركيبتهم الذاتية والنفسية ، و تعتبر الفئات الشبابنية التي اجرينا معها المقابلات هي قئة التي كانت في سن الطفولة خلال المرحلة العشرية السوداء (1990-2000) حيث تنشئت اجتماعيا في ظل تلك الاحداث الدامية ، اين كان العنف بشتى انواعه جزء من يوميات هؤلاء الشباب في طفولاتهم . غياب السطلة المجتمع و تعطل كل المؤسسات التنشئة الاجتماعية فتح الباب الى ثقافة الفوضى و الخوف في ظل الصراع من اجل حماية الذات من ان تكون عرضة للنفي (الموت)الى ان تصبح اداة للعنف او ضحيتها.هؤلاء الشباب لم يعرفوا الا هذه التنشئة التي تغلفت بغلاف

* الهجرة السرية أو بما يعرف عندنا بمفهوم الحرقة ، هي عملية نفي ذات من خلال نفي المكان و التخلي على رأس المال الثقافي العقيم في قفزة زمكانية للبحث عن مكان آخر أفضل و أحسن من الذي نشأوا فيه لأجل تحقيق كيانهم الذاتي و روحي معا ضمنه، تمردا على القهر و الاستلاب و الاضطهاد بشتى أشكاله. جاءت الهجرة السرية (الحرقة) بعد معاناة قاساها أفراد من المجتمع من جراء ظلم و تهميش و تمييز المجتمع لهم، فلم يجدوا خيارات أخرى أمامهم من خلال محاولاتهم للاندماج داخل صيرورة تطور المجتمع أو إيجاد مكان لهم ضمن عمليات التغير الاجتماعي التي باءت كلها.

الاحداث العنيفة. هويتهم بنيت على العنف لا غير. يقول Hugues LAGRANGE "لا يمكن فهم الشباب بدون أن نفهم بعد المجتمع المخاطرة". رغم هذا فإنّ المبحوثين يركزون على أنّ إنعدام المرافق الترفيه والمراكز التكوين الثقافي كالأدوار الثقافية والرياضية الكافية لإستيعاب كل هذه الفئات المهمشة والطاقات المعطلة و إمتصاص تلك شحنات السلبية لتحويلها إلى إيجابة يزيد من حدة ممارسة العنف .

5-ثقافة العنف عند الشباب

لما صار المجتمع لا يلبي ماديا وروحيا حاجيات أفراده ، عاجزا من أن ينتج خطابا يضفي من خلاله ثقافة السلام والأمن في أحضان هؤلاء الشباب الإستقرار النفسي ،جراء هذا الإخفاق سواء كان مقصودا أوغير مقصود أدى بالتالي الى تشكل ثقافة تنفي وجود الشباب في التركيبة العضوية للمجتمع ،إذ يقول في هذا الصدد Hugues LAGRANGE " إنّ عنف الشباب يفسر كجواب للتحدي تواجدهم في مجتمع يبتعد عن عاداته". ولأنّ التغير الإجتماعي هو الصلة بين المعارف قبل أن يكون الصلة بين الممارسة الإجتماعية. فإن التواصل الثقافي السليم يفقد في تلك المعادلة. إنّ الشباب قد تضاد لديهم المفهوم الحقيقي لثقافة المجتمع.إذ أنّه لم يجد فيها ضالته التي أنشئ لها. لقد أصابته خيبة الأمل لما وجدها ثقافة جوفاء بداخله ا لا تحتوي على تلك القيم والمعايير والمبادئ الإجتماعية الت ي تعوضه عن فشله، لكن الواقع يفرض نفسه، لقد أضاعوها لما أضاعتهم .

ولكي يحمون أنفسهم لج ؤوا إلى إنتاج خطابات جديدة تسمح لهم بوقاية أنفسهم ومصالحهم من مخاطر تواجههم. ثقافة العنف كانت نتيجة لعدة ثقافات سلبية همشت، إنّها تعتبر لقيطة كل ما هو سلبي في المجتمع. ثقافة نسجت خيوطها من ثقافة الحقرة وثقافة الظلم وثقافة التهميش وثقافة الإقصاء وثقافة الجهل والأمية وكل ثقافة السلبية.إنّ ثقافة العنف صارت تعني وجود الشباب (23). لأنّ الصورة الحقيقية للشباب في المجتمع شوّهت ، وهذا تأكيدا من جميع المبحوثين الساخطين على هذه الوضعية. أصبحت نظرية الديالكتيكية للعنف والشباب هي التي تنتج في خطابات وسائل الإعلام ورسخت في ذاكرة الرأي العام.

يقول أحد المبحوثين "صورة الشباب شوهت بالعنف" ، الشباب يعني العنف والعنف يعني الشباب وبالتالي صار مفهوم الشباب في المصطلحات الحديثة هو العنف والعكس كذلك. إلى جانب كل هذا صار هؤلاء الشباب يلجؤون إلى العنف و المخدرات و الدّين الذي بدوره يحتوي غضبهم بملأ ذلك الفراغ بالتربية والممارسة الدّينية. لكن يجب الحذر من هذه الوضعية لأنّها لا تعد إلا مرحلة إنتقالية وليست حلا نهائيا لآلامهم ومعاناتهم . لقد أكدت لنا الحالة التي عاشها المجتمع الجزائري في العشرية السوداء ولا زال يعايشها، أين أستغل الجانب الدّيني في جلب هؤلاء الشباب إلى ممارسة الطقوس الدّينية كذريعة وتمويه في المساجد التي جعل منها حلقة وصل في إستغلال وإمتصاص ذلك الغضب والكراهية والحقد للمجتمع وتوجيهه نحو العملية الجهادية المزعومة والتي هي في الواقع عمليات إرهابية هدامة للأفراد وللمجتمع

والحضارة الإنسانية ككل. إنّ التطرف الدّيني أستغل الشباب و الدّين من جهة وضعف وعي الشباب داخل المجتمع وجهلهم بالقواعد الدّينية الحقيقية المبنية على التّسامح والمحبة والسلام للجميع من جهة أخرى.

الشباب أضحوا ضحايا مجتمع، لأنّه ليس لديهم مستوى يؤهلهم في التّحكم أكثر في إنفعالاتهم و غضبهم بقول أحد المبحوثين " إنّ هؤلاء الشباب ليس لهم مستوى و يمارسون العنف لكونه الوسيلة الوحيدة بالنسبة إليهم لكي يعبرون عن معاناتهم اليومية".. كانت ردود أفعالهم بالإجماع على أنّ المجتمع هو الذي كان سببا في تحطيم أحلامهم، وإستعمال العنف هو رد فعل ضد المؤسسات التنشئة الإجتماعية التي فشلت ولم تقم بدورها بتقديم البديل.

النتائج :

ومن بين النتائج المتوصل إليها أثناء هذه الدراسة التي جرت على عينة من الشباب كشريحة هامة في التركيبة الديمغرافية للمجتمع التي شغلت الرأي العام وأفرزت تحديات جديدة مما أدى إلى تأزم الأوضاع في المجتمع، نظرا لعدة عوامل أثرت على المسار الإجتماعي لهؤلاء الشباب للوقوف على ظاهرة العنف وخلفيات ممارستها في الوسط الحضري في مدينة وهران، و ما تتميز به هذه المدينة من خصوصيات ديموغرافية و اقتصادية وثقافية هامة.

يعتبر العنف بالنسبة لهؤلاء الشباب هو معركة متواصلة لإثبات وجودهم في التركيبة الإجتماعية من خلال تفاعلاتهم الإجتماعية . العنف لم يقتصر على تدمير كيان إجتماعي، بل تعدى ذلك لتشويه نظام قائم على معايير وقيم ومبادئ متوارث من جيل إلى جيل. العنف الحضري صار ظاهرة إجتماعية حضرية ينشأ عنها ثقافة تسيير وإنتاج الفوضى و اللاأمن والمخاطرة.

كيف يكمن لفئة الشباب أن تبني مشروع حياتها في ظل هذه التناقضات والصراعات المادية والروحية التي أفرزتها أحداث وأوضاع مجتمع لا يرتكز على مشاريع مستمدة أصولها وأفكارها من البنية التحتية أصيلة للمجتمع ،أين يكون إخفاق المؤسسات التنشئة الإجتماعية في أداء دورها هو الركن الأساسي في ممارسة عند الشباب.

ونتيجة للتعاريف الأكاديمية مرورا بالمدارس الغربية والنظريات الإجتماعية و الوظيفية والإقتصادية من هوبس الى ماركس الى ماكس فيبر الى مارتون و تونيس وسبنسير وكوزير وفرود و غيرهم الذين عرفوا العنف على أنه ظاهرة إجتماعية تقوم بإلحاق الأذى بالغير للتمكن منهم و إلغائهم نهائيا او جعلهم تحت السيطرة . وتعريفه من طرف وسائل القمع و الأمنية بأنه سرقة و الإعتدا ء على الغير والمتاجرة في الممنوعات وضرب والجرح العمدي والغير العمدي والتزوير وغيرها ما يمثل خطرا على سلامة المواطن والمصلحة العامة . أما الشباب حيين يعرفونه على أنه الإنتقام من المجتمع ، فقر،

التمييز الإجتماعي، عدم الإحترام المتبادل، الفساد، الخلطة ، الظلم ، البطالة ، الجهل بالأشياء، وسوء التربية.

و بهذا أستخلصت في النهاية إلى تعريف إستنتاجي: و هو أن ظاهرة العنف هو كل فكرة أو إحساس أو لفظ أو فعل جماعي أو فردي ، شكلي أو ضمني ، مادي أو روحي ، رمزي أو فعلي يهدف من خلاله إلى التقليل من قيمة الشخص أو الشيء لإلحاق الأذى به أو تحطيمه لغاية تمكن منه و جعله تحت السيطرة أو إلغائه نهائيا.

مما يمكن ملاحظته أن العنف شكلان عنف أفقي (violence horizontale) وعنف عمودي(violence verticale)

- العنف الأفقي (Violence Horizontale): هو ذلك العنف الذي يمارس على مستوى نفس فئة المجتمع وفي نفس التركيبة السوسيوإقتصادية والأنثربوثقافية وفي نفس الإتجاه في شكله ومضمونه .إذ أن الفئات تتساوى من حيث نفس الممارسات ونفس نمط العيش ونفس الظروف التي تفرض عليها وبالتالي البيئة التي يحدث فيها ومن خلالها ذلك العنف الأفقي محصورة في إطار موضوعي راسخ يتأثر ويؤثر في محوره الثابت و المعكوس و المتداخل.
- أما العنف العمودي (Violence Verticale):هو ذلك العنف الذي يأخذ شكلا آخر في ممارسته من دون نفس فئة المجتمع التي نعيش معها. إذ يقوم على أساس إختلاف في الشكل وفي المضمون وفي الإتجاه.

دوافعه تتركب من خلال الضغوطات التي تمارس من أعلى إلى أسفل و من أسفل إلى أعلى(أي هناك فرق شاسع في مركز القوى في تركيبة البنية الفوقية و هي هرم القرار والسلطة والبنية التحتية هي مركز الممارسات وتجسيد شكل ومضمون المشروع).و هذا مما يؤدي إلى رد فعل عكسي وبالتالي إلى تصادم وإختلال ميزان أو موازين القوى. الضغط الذي يمارس من أعلى إلى أسفل يختلف عن الذي يمارس من الأسفل إلى الأعلى.

العنف العمودي ينجم من جراء ممارسات قد نتج أو ينتج عنها قطيعة مبدئية بين قطبين أو حجمين إختلفا شكلا وموضوعا، مما يؤدي إلى تصادم تلك الأفكار والأحاسيس والممارسات كتعبير عن رفض الكلي أو الجزئي للفكرة أو البرنامج أو القرار. لأنّ الفرق يترتب عنه تضاد في الهندسة الثقافية والبنية الإجتماعية لكلا القطبين وبالتالي نشوء أزمة ذاتية وروحية . فكل واحد منهما يريد أن يفرض نفسه على الآخر طبقا لظروف إجتماعية وإقتصادية وسياسية ودينية بمنطق المصلحة والتأثير والتأثر، وخاصة من خلال نفوذ القوة التي تتجسد في العنف الشرعي وغير الشرعي بحكم قانون ومنطق الممنوع و الحرام.

في العنف الأفقي يحدث تنافس في الفرص بين أفراد المجتمع. أما في العنف العمودي فيحدث صراع من أجل من يتحكم و يسيطر على السلطة أكثر فأكثر.

* قائمة المراجع :

1. sensibles, une échelle d'évaluation », Les cahiers de la sécurité intérieure, 1993.n°14,235-247
2. Voir le projet de recherche P.E, LAHAOURI ADDI (Chef de projet), Les différentes formes de la violence en Algérie : Le cas de la ville d'Oran –institut des sciences politiques de Lyon/France –CRASC ,2011/2013
3. Belkacem LALAOUI, « Les racines de la violence sociale en Algérie » ,in quotidien :soir d'Algérie du15/01/2014.
4. بوعبدا لله قاسمي ، العنف و الشباب في الوسط الحضري ،احياء مدينة وهران كعينة، مذكرة ماجستير 2008/2009 ، جامعة وهران2 ، الجزائر.
5. Pierre BOURDIEU., « La jeunesse n'est qu'un mot » in BOURDIEU P., « Questions de sociologie », Editions de Minuit, Paris, 2002,p :143-154--
6. REA A., NAGELS C., « Jeunes à perpète… Génération à problèmes ou problème de générations ? » in Ville Ecole Intégration, Diversité, n°154, septembre 2008, p. 208
7. Olivier GALLAND., « La jeunesse : un passage. Une notion aux contours incertains » in « Précarités et entrées dans la vie », Revue française de sociologie, XXV, n°1, Paris, 1984, pp. 49-66 (extraits)
8. REA A., NAGELS C , ibid p:07
9. تقرير CNES 2016
10. Hugues LAGRANGE, 2004la violence des jeunes, prix de la société de risque, in (sciences humaines) mensuels N°47, 10 Décembre ; p48
11. عدي الهواري –تدخله خلال المؤتمر مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي الذي نظم بـ CRASCوهران مابين 20 الى 22 مارس 2012
12. ibid,SM,P95
13. Philippe BRAND, Violences politiques, Paris, Ed : Seuil, 2004, 281p
14. Addi Lahouari. Violence symbolique et statut du politique chez Pierre Bourdieu. In: Revue française de science politique, 51 année, n°6, 2001. pp. 949-963;
15. ibid. p.69
16. 25- Judith LAZAR, La violence des jeunes, Ed: Flammarion, Paris 2002 ,260 p
17. RAPPORT DU CNES2016
18. ديوان الوطني للاحصاء 2016
19. Ibid ,Howard. S. Becker–p 86
20. Mohamed Saib MUSETTE, La jeunesse et la violence urbaine en algérie,in émeutes et mouvements sociaux au Maghreb, s/d de :Didier LE SAOUT –Marguerite ROLLINDE, Ed :KARTHALA, institut Maghreb Europe, Paris,1999,p385(p315/325)
21. voir Hugues LAGRANGE, la violence des jeunes, prix de la société de risque, in (sciences humaines) mensuels N° 47 ,10 Décembre 2004 ,p48
22. 1erjanvier au 30 octobre 2006, 377 jeunes ont été sauvés par les gardes-côtes et 42 cadavres ont été repêchés.. « …Tous des jeunes de 18 à 35 ans qui voulaient fuir le chômage et la misère. » Toujours selon le quotidien national El Watan, 147 cadavres de jeunes ont été repêchés ces trente derniers mois.2400 harragas recensées.
23. Michel BOUTANQUOI, « Jeunes face à la violence », Sociétés et jeunesses en difficulté, n°10 | Automne 2010, mis en ligne le 06 juin 2011, Consulté le 26 février 2013. URL : http://sejed.revues.org/index6908.html